معالم في الجهاد



بقلم

محمد بن عبدالله الحصم

راجعه وقدّم له

فضيلة الشيخ العلامة سليمان بن ناصر العلوان

معالم في الجهاد

معالم في الجهاد

بقلم
محمد بن عبد الله الحصم

راجعه وقدم له
فضيلة الشيخ العلامة
سليمان بن ناصر العلوان حفظه الله تعالى

(قرأت كتاب معالم في الجهاد للشيخ محمد الحصم حفظه الله فرأيت فيه نوراً وعلماً نافعاً ونصحاً صادقاً.

والكتاب جيد ومفيد وأنصح بطباعته وأحث المسلمين على قراءته).

كتبه

سليمان بن ناصر العلوان

٢ / ١٢ / ١٤٣٤ هـ

المحتويات

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اقتفى أثره وسار على نهجه وجاهد بجهاده إلى يوم الدين وبعد:

فالناظر في واقع هذه الأمة العظيمة أمة محمد ﷺ يعلم أنها تعيش اليوم حقبة هي الأسوأ والأضعف في تاريخها، حيث أصبحت أمة مستباحة يسومها أعداؤها سوء العذاب يقتلون أبناءها ويحتلون بلادها وينهبون خيراتها.

وكان هذا الواقع الذي تعيشه أمتنا اليوم نتاجا مرا للحركة الاستعمارية التوسعية الغربية في القرن الماضي، حيث أنهم عرفوا أن عز هذه الأمة إنما هو بهذا الدين، وأنهم ما تمكنوا من بلاد الإسلام إلا بعد أن فرط المسلمون بدينهم، وأن بقاء هذا الدين في حياة الناس شرعا يعملون به ويتحاكمون إليه هو أعظم سبب لصحوة هذه الأمة وعودتها لعزها ومجدها، وهو كذلك أكبر خطر يهدد مصالحهم وهيمنتهم على بلاد الإسلام، فجاءوا بكذبة الديمقراطية ليعزلوا هذا الدين عن الحكم ويجعلوه محصورا في المساجد، واستبدلوا الشرع المطهر بدساتير وضعية وضيعة تضمن أولا عزل الدين عن الدولة ومن ثم تؤمن هيمنتهم وتكفل تبعية المسلمين لهم، وتضمن ثانيا بقاء معاول الهدم والتغريب في هذه

الأمة بما تبيحه من حريات في الاعتقاد والسلوك.

وعلموا أن الناس على دين ملوكها وأن الكدر من رأس العين فسلطوا على الناس شرارهم.. حكاما فاسدين سفهاء، لا يرجون لله وقارا ولا يرفعون بشرعه رأسا، فكانوا عملاء مخلصين ووكلاء أمينين لا يألون جهدا في طاعة أسيادهم وتنفيذ مشاريعهم إذا سلمت لهم شهواتهم ومناصبهم.

وأعظم شيء حرصوا على تغييبه وطمس معالمه من هذا الدين هو الجهاد في سبيل الله، لأن مفهوم الجهاد في الإسلام لا يقف أمام مخططاتهم ويأمر بتحرير بلاد الإسلام منهم فحسب، بل يتعدى ذلك إلى غزوهم في بلادهم وإدخالهم في سلطان المسلمين إما باعتناقهم الإسلام أو إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون خاضعون لأحكام الإسلام ودولته.

فصوروا الجهاد بالإرهاب وجعلوه تهمة وجريمة، وأمروا بتغيير المناهج _ التي هي في الأصل مشوهة _ لضمان خلوها من أي مفهوم صحيح للجهاد، وقام الوكلاء بواجبهم فأسكتوا كل صوت وكسروا كل قلم يدعو للجهاد، وزجوا في السجون حتى من يحدث نفسه به، أما من يتجرأ ويخرج ليجاهد فقد أعذر من نفسه فلا تنفعه عندهم شفاعة الشافعين، ولا يقبلون منه صرفا ولا عدلا.

وانبرى لتزيين باطلهم بعض من ينتسبون للعلم والدعوة فاختزلوا مفهوم الجهاد بالدفع وعن الوطن فقط، وأبطلوا بفتاواهم الجهاد وعطلوه،

وحملوا الراية للصد عن سبيل الله وتشويه صورة المجاهدين، ولم يكتفوا بذلك بل باركوا احتلال بلاد المسلمين بدعوى تحريرهم وأضفوا الشرعية على الأنظمة التي صنعها المحتلون، ودعوا المسلمين للإنضواء تحتها.

ومن هذا المنطلق أردت أن أبين بعض فضائل الجهاد وحقائقه تثبيتا للمجاهدين وإنذارا للقاعدين وإعذارا للمخدوعين وتذكيرا لللغافلين بأن الجهاد في سبيل الله هو السبيل لعودة هذه الأمة إلى عزها ومجدها ومكانتها، وهو السبيل لحماية البيضة وصيانة الأعراض، وهو الطريق الأفضل للفوز برضا الله والجنة، والنجاة من غضبه والنار، وسميته «معالم في الجهاد» سائلا المولى سبحانه وتعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يستعملنا في ذلك، وأن يجعل هذا العمل صالحا ولوجهه خالصا، وأن يحشرنا مع المجاهدين وفي زمرة الشهداء إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وقد يسر الله عز وجل أن أعرض هذا الكتاب على فضيلة الشيخ العلامة سليمان بن ناصر العلوان حفظه الله فتفضل مشكوراً بالاطلاع عليه وأكرمني _أكرمه الله_ بتقديمه وأشار بطباعته وحث على قراءته أسأل الله أن يجزيه عني وعن المسلمين خير الجزاء وأن ينفع بعلمه ويرفع درجته ويكفيه بما شاء كل شر وسوء. اللهم آمين.

فضائل الجهاد

١- الجهاد أفضل الأعمال

الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال، والمجاهدون في سبيل الله أفضل الناس، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض».

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا أبا سعيد من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة) فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله ففعل ثم قال: (وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) قال: وما هي؟ يا رسول الله قال: (الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله».

بل قد أنكر سبحانه على من سوى بين الجهاد وغيره من أعمال البرّ وبين فضل المجاهدين على غيرهم فقال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[التوبة].

وجاء في سبب نزول هذه الآيات كما في صحيح مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمّر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عز وجل ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[التوبة / ١٩] الآية إلى آخرها.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد قال : «لا أجده» قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟»

قال: ومن يستطيع ذلك. رواه البخاري

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قيل للنبي ﷺ: ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: «لا تستطيعونه» قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه» وقال في الثالثة: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام وصلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى». رواه مسلم

وعند الترمذي من حديث معاذ قال ﷺ: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد» [رواه الترمذي]

قال العلامة ابن رجب الحنبلي: «ذروة سنامه هو أعلى ما فيه وأرفعه وهذا يدل على أنه أفضل الأعمال بعد الفرائض كما هو قول الإمام أحمد وغيره من العلماء» [جامع العلوم والحكم ١/٢٤٧]

فهذه بعض الآيات والأحاديث في فضل الجهاد والمجاهدين، وأنهم أفضل الأمة لأن عملهم هو أفضل الأعمال وأعظمها وأكثرها أجراً وثواباً.

وذلك لأن بهم عز الأمة ورفعتها، وبهم تصان الأعراض وتحقن الدماء، وبهم تأمن السبل وينتشر الأمن، وبهم تتخلص الأمة من الأعداء الغاصبين، وبجهادهم تمهد الطرق لنشر العلم والدعوة إلى الله، وبجهادهم تمضي حجة الله على عباده.

فإن كان غيرهم يقدم ماله فهم يقدمون أرواحهم، وإن كان

غيرهم يضحي بوقته فهم يضحون بالدنيا وما فيها.

وهم أشد الناس فتنة وأعظمهم بلاء والنبي ﷺ يقول: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل».. فالرؤوس بجانبهم تتطاير، والأشلاء تتناثر، والأيدي تندر، والأرجل تبتر.

قال ابن قدامة رحمه الله: «ولأن الجهاد بذل المهجة والمال ونفعه يعم المسلمين كلهم صغيرهم وكبيرهم قويهم وضعيفهم ذكرهم وأنثاهم، وغيره لا يساويه في نفعه وخطره فلا يساويه في فضله وأجره».

[المغني ١٠ / ٣٦٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والأمر بالجهاد، وذكر فضائله في الكتاب والسنة، أكثر من أن يحصر، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة، ومن الصلاة التطوع، والصوم التطوع، كما دل عليه الكتاب والسنة، حتى قال النبي ﷺ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»، ولم يرد في ثواب الأعمال وفضلها، مثل ما ورد فيه، فهو ظاهر عند الاعتبار، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة، فإنه مشتمل من محبة الله تعالى، والإخلاص له، والتوكل عليه، وتسليم النفس والمال له، والصبر والزهد، وذكر الله وسائر أنواع الأعمال، على ما لا يشتمل عليه عمل آخر. والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين

دائما، إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة، ثم إن الخلق لا بد لهم من محيا ومات، ففيه استعمال محياهم ومماتهم في غاية سعادتهم في الدنيا والآخرة، وفي تركه ذهاب السعادتين أو نقصهما، فإن من الناس من يرغب في الأعمال الشديدة في الدين أو الدنيا، مع قلة منفعتها، فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد، وقد يرغب في ترقية نفسه حتى يصادفه الموت، فموت الشهيد أيسر من كل ميتة، وهي أفضل الميتات».

[السياسة الشرعية – ١٥٩]

وقال أيضا: «وكذلك اتفق العلماء فيما أعلم على أنه ليس في التطوعات أفضل من الجهاد، فهو أفضل من الحج وأفضل من الصوم التطوع وأفضل من الصلاة التطوع، والمرابطة في سبيل الله أفضل من المجاورة بمكة والمدينة وبيت المقدس» [مجموع الفتاوى ٢٨ – ٤١٨]

٢- الجهاد حياة .. للفرد والأمة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال٢٤]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «قال الواحدي والأكثرون على أن معنى قوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ هو الجهاد، وهو قول ابن اسحق واختيار أكثر أهل المعاني، قال الفراء: إذا دعاكم إلى إحياء أمركم بجهاد عدوكم يريد أن أمرهم إنما يقوى بالحرب والجهاد، فلو تركوا الجهاد ضعف أمرهم واجترأ عليهم عدوهم. قلت: الجهاد من أعظم ما يحييهم به في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، أما في الدنيا: فإن قوتهم وقهرهم لعدوهم بالجهاد، وأما في البرزخ: فقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾، وأما في الآخرة: فإن حظ المجاهدين والشهداء من حياتها ونعيمها أعظم من حظ غيرهم،ولهذا قال ابن قتيبة: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ يعني: الشهادة». [الفوائد / ٨٨]

وقال القرطبي رحمه الله: «وقيل: المراد بقوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الجهاد فإنه سبب الحياة في الظاهر، لأن العدو إذا لم يغز غزا وفي غزوه

الموت، والموت في الجهاد الحياة الأبدية قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ ﴾

[الجامع لأحكام القرآن ٧/٣٤١]

٣- الجهاد سبيل العزة والكرامة وتعطيله سبيل الذل والهوان

عن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» [رواه أبو داود وصححه الألباني].

قال العلامة الشوكاني رحمه الله : «وسبب هذا الذل والله أعلم أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين عاملهم الله بنقيضه وهو إنزال الذلة بهم، فصاروا يمشون خلف أذناب البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان. قوله: «حتى ترجعوا إلى دينكم» فيه زجر بليغ لأنه نزل الوقوع في هذه الأمور منزلة الخروج من الدين» [نيل الأوطار ٥/٢٦٨]

قلت: وواقع الأمة خير شاهد على ذلك، كيف أصبحت بترك الجهاد أمة مستباحة يسومها أعداؤها سوء العذاب، وفي كل بقعة من هذا العالم لنا جرح ومأساة، حتى اليهود أذل أمة وأجبن شعب الذين ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم القيامة يحتلون مقدساتنا ويستبيحون دماءنا وأعراضنا في فلسطين، وما ذاك إلا لبعدنا عن شريعتنا وتركنا الجهاد الذي هو سبيل عزتنا وكرامتنا.

٤- الجهاد تجارة لا تقبل الخسارة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف]

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة» رواه البخاري ومسلم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وقد تظاهرت آيات الكتاب وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد والحض عليه ومدح أهله والإخبار عما لهم عند ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزيلات، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ فتشوقت النفوس إلى هذه التجارة الرابحة الدال عليها رب العالمين العليم الحكيم فقال: ﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ﴾ فكأن النفوس ضنت بحياتها وبقائها فقال: ﴿ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ يعني: أن الجهاد خير لكم من قعودكم للحياة والسلامة

فكأنها قالت: فما لنا في الجهاد من الحظ فقال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ مع المغفرة ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ فكأنها قالت: هذا في الآخرة فما لنا في الدنيا فقال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. فيا لله ما أحلى هذه الألفاظ وما ألصقها بالقلوب وما أعظمها جذبا لها وتسييرا إلى ربها وما ألطف موقعها من قلب كل محب وما أعظم غنى القلب وأطيب عيشه حين تباشره معانيها فنسأل الله من فضله إنه جواد كريم.»

[طريق الهجرتين ١ – ٥٢٦]

٥- الجهاد من أعظم ما يكفر الله به الذنوب

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود ١١٤]، وقال ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» [رواه الترمذي].

والجهاد في سبيل الله من أعظم الحسنات فلذلك فهو من أعظم ما يكفر الله به الذنوب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد، فإن الله عز وجل يغفر ذنوبه كما أخبر الله في كتابه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ومن أراد التخلص من الحرام والتوبة ولا يمكن رده إلى أصحابه فلينفقه في سبيل الله عن أصحابه فإن ذلك طريق حسنة إلى خلاصه مع ما يحصل له من أجر الجهاد، وكذلك من أراد أن يكفر الله عنه سيئاته في دعوى الجاهلية وحميتها فعليه بالجهاد.» [مجموع الفتاوى ٢٨ – ٤٢١]

٦- الجهاد في سبيل الله يذهب الهم والغم

عن أبي أمامة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم و الغم» [رواه الطبراني وصححه الألباني].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وأما تأثير الجهاد في دفع الهم والغم فأمر معلوم بالوجدان، فإن النفس متى تركت صائل الباطل وصولته واستيلاءه اشتد همها وغمها وكربها وخوفها، فإذا جاهدته لله أبدل الله ذلك الهم والحزن فرحا ونشاطا وقوة كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾ [التوبة ١٤ – ١٥]

فلا شيء أذهب لجوى القلب وغمه وهمه وحزنه من الجهاد والله المستعان» [زاد المعاد ٤ – ١٨٥]

٧- ترك الجهاد هلاك وفتنة

قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ [البقرة١٩٥]

عن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه مه، لا إله إلا الله يلقي بيديه إلى التهلكة فقال أبو أيوب ﷺ: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه ﷺ وأظهر الإسلام قلنا هلم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله تعالى ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد، قال أبوعمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية. [رواه أبو داود والترمذي].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمن ترك القتال الذي أمر الله به لئلا تكون فتنة فهو في الفتنة ساقط بما وقع فيه من ريب قلبه ومرض فؤاده وتركه ما أمر الله به من الجهاد فتدبر هذا فان هذا مقام خطر.

والناس فيه على قسمين: قسم يأمرون وينهون ويقاتلون طلبا لإزالة الفتنة زعموا ويكون فعلهم ذلك أعظم فتنة كالمقتتلين في الفتن الواقعة بين الأمة مثل الخوارج. وأقوام ينكلون عن الأمر والنهي والقتال الذي يكون به الدين كله لله وتكون كلمة الله هي العليا لئلا يفتنوا وهم قد سقطوا في الفتنة» [الاستقامة ٢/٢٨٩]

حقائق في الجهاد

١- الهدف الأسمى والغاية العظمى للجهاد في سبيل الله

أهداف الجهاد في الإسلام واضحة وجلية، وإن كثرت التبريرات الانهزامية في هذا الوقت حتى حصروا الجهاد في سبيل الله في هدف واحد وهو جهاد الدفع وتأمين الدعوة كما يقوله بعض المنهزمين ، ويركبون لذلك كل صعب وذلول، ويستدلون بالآيات المنسوخة، ويلوون أعناق النصوص انبطاحا لأفكار الغرب الكافر.

فالهدف الأعظم والأساس للجهاد في سبيل الله واضح وجلي في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال٣٩]

وقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة ٢٩]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق

الإسلام وحسابهم على الله» [متفق عليه]

وعن أبي موسى قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل» [متفق عليه]

فعلو كلمة الله في الأرض معناه أن تكون شريعة الله هي الحاكمة والمهيمنة، فإما أن يدخل الناس في الإسلام أو يدخلوا تحت حكمه وسلطانه حتى لا يبقى للكفر سلطان ولا دولة، هذا هو الهدف الأول للجهاد في سبيل الله، وبهذا الهدف كانت تقاتل جيوش الإسلام.

فعن بريدة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاهُ في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أوخلال) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء

إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم..» الحديث
[رواه مسلم]

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه في خيبر: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم».

وهذا ربعي بن عامر رضي الله عنه لما بعثه سعد رضي الله عنه إلى رستم فقال له رستم: ما جاء بكم؟ قال: «الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله. قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي».

٢- العلم والجهاد

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد ٢٥]

في هذه الآية الكريمة بين الله سبحانه وتعالى العلاقة بين العلم والجهاد، وأن بهما قوام هذا الدين، فأحدهما يكمل الآخر، ولن يكون هذا الدين عزيزا قائما إلا بهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر» [منهاج السنة النبوية ١ / ٥٣١]

وقال: «ولن يقوم الدين إلا بالكتاب والميزان والحديد كتاب يهدى به وحديد ينصره» [مجموع الفتاوى ٣٥ / ٣٦]

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فدين الاسلام قام بالكتاب الهادي ونفذه السيف الماضي.

شعر:

فما هو إلا الوحي أوحد مرهف *** يقيم ضباه أخدعي كل مائل
فهذا شفاء الداء من كل عاقل *** وهذا دواء الداء من كل جاهل»

[هداية الحيارى ١ / ١٠]

فالعلم يضيء الطريق، والجهاد يمهده ويزيل ما فيه من العوائق، والعلم ينير القلوب، والجهاد يرفع عنها أغطية الهوى والعناد، فلا بركة في جهاد لا يقوم على علم، كما لا خير في علم لا يثمر العمل.

ومثل المجاهد بغير علم وعلى غير بصيرة كالذي يسير في الظلام على طريق مليء بالأشواك، ومثل حامل العلم الذي لا يعظم الجهاد ولا يهتم بقضايا الأمة كمثل الحمار يحمل أسفارا.

والله عز وجل قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فمن فتح الله عليه بالعلم فهو من ورثة الأنبياء ولا تثريب عليه إذا قام بالجهاد الواجب وصدع بالحق، ومن فتح الله عليه بالجهاد فقد تبوأ ذروة سنام الإسلام ولا تثريب عليه إذا قاتل على بصيرة ولم يفرط بالعلم الواجب، ومن جمع بينهما فهو نور على نور وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وليس مطلوبا من العالم أن يقاتل في كل جبهة كما لا يطلب من المجاهد أن يحفظ المتون ويستوعب الأدلة، فالجهاد والعلم منه ما هو واجب ومنه ما ليس كذلك.

والأمة بحاجة للعلماء كما هي بحاجة للمجاهدين قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

[التوبة١٢٢]

والواجب على العلماء أن ينصروا المجاهدين ويناصحوهم بالتي هي أحسن، كما أن على المجاهدين أن يحسنوا الظن بالعلماء ويسمعوا منهم.

وإنما يقع التخبط والأخطاء إذا حصلت الفجوة بين العلماء والمجاهدين.

٣- مصلحة الجهاد الراجحة

الجهاد ماض إلى قيام الساعة لا يبطله شيء ولا ينقضه، إلا أن القيام به في وقت ما أو ظرف معين يتوقف على مدى تحقيقه للمصلحة المرجوة منه، وهو من هذه الناحية أمر اجتهادي يحتاج إلى نظر، فقد تحيط به من الظروف ما يغلب على الظن عدم حصول المصلحة منه، أو يغلب على الظن التضرر به، فتكون المصلحة في تأجيله والإحجام عنه، ومن أجل ذلك شرع الله عز وجل الهدنة وهي موادعة الكفار وترك قتالهم للحاجة والمصلحة كضعف المسلمين.

وكذلك العمليات الجهادية تحتاج قبل القيام بها إلى النظر في تحقيقها للمقصود منها، وموازنة ذلك بما قد يترتب عليها من أضرار ومفاسد، وليس هذا لكل أحد بل هو لأهل النظر والخبرة الذين يعتبرون بعواقب الأمور، فقد يصلح في بلد ما لا يصلح في آخر، ويصلح في وقت وظرف ما لا يصلح في غيره.

وإليكم هذا الحديث الذي يقرر ما ذكرناه فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت. فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله

الله معي يوم القيامة» فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة» فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة» فسكتنا فلم يجبه منا أحد فقال: «قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم». فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم قال: «اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي».

فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله: «ولا تذعرهم علي». ولو رميته لأصبته فرجعت.. الحديث.

والشاهد من الحديث: أن أبا سفيان وكان رأس المشركين وقائدهم لم يكن في قتله مصلحة في ذلك الوقت لأنه سيترتب على قتله مفسدة وهي نشوب المعركة التي كانت المصلحة في عدم نشوبها لذلك قال له النبي ﷺ: «ولا تذعرهم علي» وفي الرواية الأخرى «ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا» [رواه أحمد].

فلنعتبر بهذا الحديث ولنعط القوس باريها ونرجع الأمر إلى أهله من أهل العلم والجهاد، ولنترك الفوضى والارتجالية التي لا تنتج إلا الأخطاء، والسعيد من وعظ بغيره فكم فقدنا من رجال وكم في السجون اليوم من أهل الخير بسبب مثل هذه الأعمال من غير نكاية بالعدو ولا تحقيق مصلحة تذكر، بل ترتب عليها من الأضرار وانقطاع

الخير ما الله به عليم.

لقد تسببت الكثير من هذه الأعمال غير المشروعة أو غير المناسبة زمانا أو مكانا في تشويه صورة المجاهدين وتخلي كثير من الناس عن دعمهم وتأييدهم، وكانت هذه الأعمال ذريعة للمنافقين ومن في قلبه مرض للتشكيك في الجهاد والطعن في أهله.

إن الحفاظ على سمعة المجاهدين والتفاف الناس حولهم أمر لا ينبغي التفريط به، لقد ترك النبي ﷺ قتل من يستحق القتل حتى لا ينفر الناس وقال: «لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»، فلا نجعل الناس يتحدثون أن المجاهدين يقتلون الأبرياء، ويستخفون بالدماء، ويفرطون بالثروات، وعندنا من الأعمال التي لا شبهة فيها ولا مفسدة فيها كفاية والحمد لله.

٤- ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾

قال القرطبي رحمه الله: «وإنما كان الجهاد كرها لأن فيه إخراج المال ومفارقة الوطن والأهل والتعرض بالجسد للشجاج والجراح وقطع الأطراف وذهاب النفس فكانت كراهيتهم لذلك لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى» [الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٣٨]

نعم هذه حقيقة في الجهاد يجب أن يضعها المجاهد نصب عينه حتى لا يصطدم بالواقع، بل ما كان الجهاد أفضل الأعمال وما جعل الله تعالى فيه هذا الأجر العظيم إلا لما فيه من المشقة لأن الأجر على قدر المشقة، فليس الجهاد نزهة ومتعة ولا طريقا مفروشا بالورود بل كما وصفه الله تعالى بأنه كره وبأس، وإنما يقدم المسلم عليه لما يترتب عليه من الخير العظيم وما فيه من الأجر والفضل الكبير ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾[البقرة ٢١٦]

والجهاد في زمننا هذا أشد كرها ومشقة، ففي الزمن الأول كان النبي ﷺ بين أظهرهم، ويقاتل معهم، وكانت الأمة كلها تقاتل فالرجل منهم يخرج للجهاد ومعه أصحابه وأقرباؤه وجيرانه، لا يخاف من أحد، بل ربما يخشى لو تخلف عن الجهاد أن يتهمه الناس ويظنوا به السوء،

ومع هذا كله كان الجهاد كرها، فكيف به اليوم والمجاهد يجد من الكره والمشقة في الوصول للمجاهدين أكثر مما يجد في الجهاد نفسه، ويخرج عندما يخرج وحيدا غريبا من بين أهله ومجتمعه، لا يكاد يجد من يوافقه ويؤيده، ففي وصوله للمجاهدين كره، وفي رجوعه إن رجع كره أشد مما في خروجه وجهاده، فربما يكون مصيره لو انكشف أمره السجن سنين طويلة، أو التضييق عليه في دنياه.

٥- وجوب إعداد العدة

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بإعداد العدة وأوجب عليهم الأخذ بجميع أسبابها حتى تكون الأمة مهابة الجانب يرهبها أعداؤها فتنقطع أطماعهم فيها فقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال ٦٠]

قال ابن كثير رحمه الله: «ثم أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة فقال: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم ﴾ أي مهما أمكنكم» [تفسير ابن كثير ٢ / ٤٢٤]

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا» [رواه مسلم]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تعلم الرمي ثم نسيه فهي نعمة جحدها» [رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط]

قال الشوكاني رحمه الله: «وفي ذلك إشعار بأن من أدرك نوعا من أنواع القتال التي ينتفع بها في الجهاد في سبيل الله ثم تساهل في ذلك حتى تركه كان آثما إثما شديدا، لأن ترك العناية بذلك يدل على ترك العناية بأمر الجهاد وترك العناية بالجهاد يدل على ترك العناية بالدين

لكونه سنامه وبه قام» [نيل الأوطار ٨ / ١٦٣]

وإعداد العدة لا إفراط ولا تفريط بل كما قال الله تعالى ﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ فكل ما هو ممكن من الإعداد للجهاد فلا يجوز التفريط به، ويجب على كل مسلم حسب الإمكان أن يتدرب على القتال وأن يكون مستعدا في أي لحظة للجهاد وخاصة في وقتنا هذا حيث يحيط بنا الأعداء من كل جهة، وحيث لا تزال الكثير من بلاد المسلمين ومقدساتهم تحت أيدي الأعداء والمحتلين، فإن لم يكن الإعداد واجبا في وقتنا هذا فلن يكون واجبا إلى قيام الساعة.

أما أن لا نجاهد ولا نقاتل حتى يكون عندنا مثل ما عند أعدائنا من القوة والسلاح فهذا معناه تعطيل للجهاد، ومتى كان المسلمون عبر تاريخهم كعدوهم في العدد والعدة؟!..

فهذه المعارك الفاصلة في الإسلام خاصة في القرن الأول كان المسلمون فيها أقل من عدوهم عددا وعدة، ولم يمنعهم ذلك من الغزو والجهاد، وكان ذلك في جهاد الطلب أما طرد المحتلين وتحرير بلاد المسلمين فهذا من جهاد الدفع الذي لا يشترط له شرط بل يجب مطلقا بكل ما هو متاح والله أعلم.

٦- جهاد الدفع لا يشترط له شرط

لقد طفق القاديانيون الجدد يثبطون عن الجهاد، ويلمزون أهله القائمين به، ويثيرون الشبه حول مشروعيته، ولسان حالهم يقول: انبطحوا أيها المسلمون واستسلموا لأعدائكم، وإياكم ومقاومة المحتلين، بل إذا دهمكم العدو وأخذ بلادكم فولوه أمركم واسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم علج صليبي أو مجوسي رافضي.

وأبطل هؤلاء جهاد إخوانهم في الشيشان وأفغانستان والعراق بزعم أنهم يقاتلون بلا راية، ونسي هؤلاء أو تناسوا أن الجهاد اليوم كله جهاد دفع لا يشترط له شرط.

قال شيخ الإسلام _قدس الله سره_: «وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعا فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم وبين طلبه في بلاده». [الفتاوى الكبرى ٥ / ٥٣٧]

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب وأعم وجوبا ولهذا يتعين على كل أحد يقوم ويجاهد فيه: العبد بإذن سيده وبدون إذنه والولد بدون إذن أبويه والغريم بغير إذن غريمه وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق، ولا يشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو ضعفي المسلمين فما دون فإنهم كانوا يوم أحد والخندق أضعاف المسلمين فكان الجهاد واجبا عليهم لأنه حينئذ جهاد ضرورة ودفع لا جهاد اختيار». [الفروسية ١٨٨]

٧- انهزام القوة المادية أمام العقيدة والإيمان

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح]

قال ابن كثير رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ يقول عزَّ وجلَّ مبشراً لعباده المؤمنين، بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم، ولانهزم جيش الكفر فاراً مدبراً ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ أي هذه سنة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل، إلا نصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين، نصرهم على أعدائه من المشركين، مع قلة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم». [تفسير ابن كثير ٤ / ٢٤٤]

وقال تعالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران ١١١]

قال الإمام الطبري رحمه الله: «وإن يقاتلكم أهل الكتاب من اليهود والنصارى يهزموا عنكم فيولوكم أدبارهم انهزاما...

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ يعني: ثم لا ينصرهم الله أيها المؤمنون عليكم لكفرهم بالله ورسوله وإيمانكم بما آتاكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله عز وجل قد ألقى الرعب في قلوبهم فأيدكم أيها المؤمنون بنصركم وهذا وعد من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان نصرهم على الكفرة به من أهل الكتاب». [جامع البيان ٣ / ٣٩٢]

وهذه السنة الإلهية نراها ماثلة أمامنا اليوم على أرض الواقع، فهذه الدول العظمى بقواتها وعتادها وعملائها تقف عاجزة أمام تلك العصابة المؤمنة من المجاهدين الذين لا ناصر لهم إلا الله، فليس عندهم ترسانة أسلحة ولا ميزانيات مفتوحة، ولا دول تدعمهم، ومع ذلك أبطلوا مخططات هذه الدول العظمى، وأفشلوا مشاريعهم الاستعمارية.

نعم، إنه نصر الله الذي وعد، وقريبا والله سيفرح المؤمنون بنصر الله، وسيندحر أعداء الأمة خائبين خاسرين، وستمضي سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول،وستعود هذه الأمة لقيادة هذا العالم، وإن غدا لناظره قريب.

٨- العبرة ليست بالكثرة

قال تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة ٢٤٩].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ [آل عمران١٣]

قال القرطبي رحمه الله: «قال ابن عباس رضي الله عنه والسدي: جاز معه في النهر أربعة آلاف رجل فيهم من شرب، فلما نظروا إلى جالوت وجنوده وكانوا مائة ألف كلهم شاكون في السلاح رجع منهم ثلاثة آلاف وستمائة وبضعة وثمانون؛ فعلى هذا القول قال المؤمنون الموقنون بالبعث والرجوع إلى الله تعالى عند ذلك وهم عدة أهل بدر: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾. وأكثر المفسرين: على أنه إنما جاز معه النهر من لم يشرب جملة، فقال بعضهم: كيف نطيق العدو مع كثرتهم فقال أولو العزم منهم: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾. قال البراء بن عازب رضي الله عنه : كنا نتحدث أن عدة أهل بدر كعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ثلاثمائة وبضعة

عشر رجلا _وفي رواية: وثلاثة عشر رجلا_ وما جاز معه إلا مؤمن».
[الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٣٩]

وفي تاريخ الطبري: «وقال رجل لخالد رضي الله عنه ما أكثر الروم وأقل المسلمين فقال خالد ما أقل الروم وأكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال والله لوددت أن الأشقر براء من توجِّيه وأنهم أضعفوا في العدد» [تاريخ الطبري٢ / ٣٣٧]

٩- ماذا سيخسر أعداؤنا في الجهاد؟

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء ١٠٤]

قال ابن كثير رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ أي: لا تضعفوا في طلب عدوكم، بل جدّوا فيهم، وقاتلوهم، واقعدوا لهم كل مرصد ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾ أي كما يصيبكم الجراح والقتل كذلك يحصل لهم كما قال تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ أي أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم من الجراح والآلام، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو وعد حق، وخبر صدق، وهم لا يرجون شيئاً من ذلك، فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه، وفي إقامة كلمة الله وإعلائها ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ أي هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه وينفذه ويمضيه من أحكامه الكونية والشرعية وهو المحمود على كل حال». [تفسير ابن كثير ١ / ٧٣١]

نعم، إنه لا يستقيم أن ننظر إلى النتائج بعين واحدة وهي: كم قتل

منا؟ وكم جرح منا؟ وماذا خسرنا؟ وماذا فقدنا؟ بل يجب أن ننظر بالعين الأخرى: ماذا خسر أعداؤنا؟ وكم فقدوا؟ وماذا حصل لهم من الرعب؟ وما هي النتائج في المستقبل؟.. حتى نستطيع أن نقيّم ونحكم فنقدم بعد ذلك أو نحجم.

وأيضا لا تقاس هذه المعادلة بعدد القتلى والجرحى كما يقيسها البعض بل تقاس بأبعادها الشرعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وغير ذلك، فقد لا يخسر العدو أعدادا كبيرة ولكنه يخسر سياسيا واقتصاديا، وتفشل مشاريعه ومخططاته فيندفع بذلك شر عظيم عن هذه الأمة، وتنكسر هيبته وسطوته في قلوب الناس.

وأضرب لذلك مثلا بالعمليات الاستشهادية المباركة في فلسطين فلو قيمناها بعدد القتلى لوجدنا أنه قد يقتل من اليهود في العملية عشرة فيقتلون من إخواننا في فلسطين العشرات ويهدمون الكثير من المنازل، ولكن هذا التقييم أعوج وغير صحيح، فالعمليات الاستشهادية المباركة يكفي أنها أوقفت الأطماع التوسعية لليهود وأبطلت حلمهم في إسرائيل العظمى، حتى أعطوا للفلسطينين دولة وبنوا الجدار العازل اتقاء لهجمات الاستشهاديين، فكم اندفع بهذه العمليات من شر عن هذه الأمة، وكم حصل للفلسطينيين من مكاسب، فلولا الله ثم هذه الانتفاضة المباركة وذروة سنامها العمليات الاستشهادية لما اعترف اليهود بحق الدولة للفلسطينيين، والله أعلم.

١٠- أسباب النصر

وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالنصر وبشرهم به في آيات كثيرة:

فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر ٥١]

وقال تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف١٣]

فالنصر للمؤمنين وعد وبشارة من الله سبحانه وتعالى، ولكنه ليس وعدا مطلقا بل مقيد بأسباب وشروط من أخذ بها تحقق له هذا الوعد وحصلت له هذه البشارة، ومن أخل بها أو بشيء منها لم يكن موعودا بالنصر ووكله الله إلى نفسه.

وأسباب النصر بينها الله سبحانه في كتابه وبينها النبي ﷺ في سنته، وأعظم هذه الأسباب على الإطلاق هو تحقيق التوحيد لله جل وعلا قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ

بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[النور٥٥]

أي: أن هذا الوعد بالنصر والتمكين مقيد بحال كونهم موحدين لله غير مشركين به، فالتوحيد أعظم سبب لولاية الله تعالى ولذا فأهله أسعد الناس بتأييد الله ونصره، كما أن الشرك أعظم محاداة لله تعالى ولذا فأهله أبعد الناس عن الله وكتب الله عليهم الذلة والخذلان والهوان بسبب شركهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة٢٠]

وأيضا هناك أسباب أخرى للنصر يجب أن يستكملها أهل التوحيد ليتحقق لهم وعد الله بالنصر بينها الله سبحانه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الأنفال]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «أمر المجاهدين فيها بخمسة أشياء ما اجتمعت في فئة قط إلا نصرت وإن قلت وكثر عدوها:

أحدها: الثبات.

الثاني: كثرة ذكره سبحانه وتعالى.

الثالث: طاعته وطاعة رسوله.

الرابع: اتفاق الكلمة وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن

وهو جند يقوي به المتنازعون عدوهم عليهم فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرها كلها.

الخامس: ملاك ذلك كله وقوامه وأساسه وهو الصبر.

فهذه خمسة أشياء تبتنى عليها قبة النصر ومتى زالت أو بعضها زال من النصر بحسب ما نقص منها وإذا اجتمعت قوى بعضها بعضا وصار لها أثر عظيم في النصر ولما اجتمعت في الصحابة لم تقم لهم أمة من الأمم وفتحوا الدنيا ودانت لهم العباد و البلاد ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت آل الأمر إلى ما آل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل».

[الفروسية ٥٠٥-٥٠٦]

ومن أجمع الآيات في بيان أسباب النصر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾[محمد٧].

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية يشترط علينا أن ننصره لينصرنا ويثبتنا، فما معنى نصرة العبد لربّه؟

قال العلماء: نصرة العبد لله هي نصرة دينه وكتابه ورسوله ﷺ، فإن أقمنا ديننا وكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ نصرنا ربنا وحقق لنا وعده فالجزاء من جنس العمل.

ويقول سبحانه مبينا معنى نصرة العبد لربه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١ ﴾[الحج].

فالذين ينصرهم الله ويمكنهم في الأرض هم الذين يقيمون دينه ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

والله سبحانه وتعالى لما ذكر غزوة أحد في سورة آل عمران ذكر في وسط أحداثها النهي عن الربا وأمر بالمسارعة إلى الخيرات وتزكية النفوس والبعد عن الفواحش والاستغفار من الذنوب ليبين أن هذه الأشياء من عدة النصر، وأن التفريط فيها سبب للخذلان والهزيمة.

فهذه أسباب النصر التي إن توفرت حصل النصر وتحقق الوعد، فإن حصل انتصار مع تفريط في هذه الشروط فليس هذا هو النصر الموعود، بل هي جاهلية تنتصر على جاهلية.

فكيف يرجو النصر من الله من يعبد غيره، أو يحكم بغير شريعته، أو يحاربه بالربا والمعاصي، أو يصد عن سبيل الله ويتولى أعداءه ويعادي أولياءه؟!

إن من يرجو النصر من الله وهو على هذه الحال لا شك أنه مغرور ومخدوع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا خرج ولاة الأمور عن هذا فقد حكموا بغير ما أنزل الله ووقع بأسهم بينهم، قال النبي ﷺ: «ما حكم قوم بغير ما أنزل الله إلا وقع بأسهم بينهم».

وهذا من أعظم أسباب تغيير الدول كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة فى زماننا وغير زماننا، ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره فيسلك مسلك من أيده الله ونصره ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانه، فإن الله يقول فى كتابه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾.

فقد وعد الله بنصر من ينصره ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله...» [مجموع الفتاوى ٣٥ / ٣٨٨]

واسمع لكلام القرطبي ـرحمه اللهـ وهو يتحدث عن واقعه وكأنه يحكي واقعنا: «فهذه أسباب النصر وشروطه وهي معدومة عندنا غير موجودة فينا فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحل بنا ! بل لم يبق من الإسلام إلا ذكره ولا من الدين إلا رسمه لظهور الفساد ولكثرة الطغيان وقلة الرشاد حتى استولى العدو شرقا وغربا برا وبحرا وعمت الفتن وعظمت المحن ولا عاصم إلا من رحم» [الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٣٩]

١١- أسباب الهزيمة، والحكمة من وقوعها، وموقف المسلم منها

أما أسباب الهزيمة فنستطيع معرفتها مما تقدم وهي التفريط بأسباب النصر، وخاصة التقوى وهي طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، فالمعاصي أعظم أسباب الهزيمة وتسلط الأعداء، بل كل ما يصاب به العبد من مصيبة فبسبب ذنوبه كما قال جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[الشورى٣٠].

ولما أصاب المسلمين ما أصابهم في أحد تعجب الصحابة رضي الله عنهم كيف وقعت هذه الهزيمة؟!، كيف يقع ذلك وهم المسلمون وأعداؤهم مشركون؟! كيف يحصل هذا والرسول ﷺ معهم وبين أظهرهم؟! كيف والله سبحانه قد وعدهم بالنصر؟!

فبين الله جل وعلا أن ذلك بما كسبت أيديهم، ومن عند أنفسهم فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾[آل عمران١٦٥]

وقد قال تعالى مبينا لهم أنه قد نصرهم وصدقهم وعده حتى فرطوا هم بأسباب النصر فانقلب النصر إلى هزيمة فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران١٥٢]

أي: ولقد حقق الله لكم ما وعدكم به من نصر، حين كنتم تقتلون الكفار في غزوة أُحد بإذنه تعالى، حتى إذا جَبُنتم وضعفتم عن القتال واختلفتم: هل تبقون في مواقعكم أو تتركونها لجمع الغنائم؟ وعصيتم أمر رسولكم حين أمركم ألا تفارقوا أماكنكم بأي حال, حلَّت بكم الهزيمة من بعد ما أراكم ما تحبون من النصر.

ومما يؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ومن معه من الأجناد «أما بعد: فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله..»

[جمهرة خطب العرب١ / ٢٢٥]

أما الحكمة من وقوع الهزيمة فقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في ذكر أحداث غزوة أحد فقال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)﴾ [آل عمران]

فبين سبحانه أن له في ذلك أكثر من حكمة:

أما الأولى ففي قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذه هي الحكمة الأولى: وهي اختبار المؤمنين ليظهر المؤمن الصادق من المنافق، فلا يظهر صدق الإيمان ولا يتميز الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق إلا بمثل هذا البلاء، أما في حال القوة والانتصار فلا تتميز الصفوف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمن الحكم تمييز المؤمن عن غيره فإنهم إذا كانوا دائما منصورين لم يظهر لهم وليهم وعدوهم إذا الجميع يظهرون الموالاة فإذا غُلبوا ظهر عدوهم» [العقيدة الأصفهانية ١ /١٢٩]

كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١)﴾ [العنكبوت]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «والمقصود: أن الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها ومن يصلح لموالاته وكراماته ومن لا يصلح وليمحص النفوس التي تصلح له ويخلصها بكير الامتحان كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية فإن خرج في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم فإذا هذب العبد ونقي أذن له في دخول الجنة» [زاد المعاد ٣ / ١١]

وأما الحكمة الثانية ففي قوله: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ أي: يختار ويصطفي منكم شهداء يكرمهم بالشهادة لينالوا أعلى مراتب الجنة حيث بذلوا أرواحهم في مرضاة الله، وصبروا حتى قتلوا في سبيل الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن الحكم أن يتخذ منكم شهداء فإن منزلة الشهادة منزلةً عليةً في الجنة ولا بد من الموت فموت العبد شهيداً أكمل له وأعظم لأجره وثوابه ويكفر عنه بالشهادة ذنوبه وظلمه لنفسه والله لا يحب الظالمين» [العقيدة الأصفهانية ١ /١٢٩-١٣٠]

وأما الحكمة الثالثة ففي قوله: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي:

يكفر ذنوبهم ويرفع درجاتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن ذلك أن يمحص الله الذين آمنوا فيخلصهم من الذنوب فإنهم إذا انتصروا دائما حصل للنفوس من الطغيان وضعف الإيمان ما يوجب لها العقوبة والهوان» وقال: «وقد شهدنا أن العسكر إذا انكسر خشع لله وذل وتاب إلى الله من الذنوب وطلب النصر من الله وبرىء من حوله وقوته متوكلا على الله» [العقيدة الأصفهانية ١ / ١٣٠]

أما الحكمة الرابعة ففي قوله: ﴿وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: يهلكهم لأنهم إذا انتصروا ازدادوا في غيهم وجبروتهم وهذا سبب هلاكهم ودمارهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وذلك أن الله سبحانه إنما يعاقب الناس بأعمالهم والكافر إذا كانت له حسنات أطعمه الله بحسناته في الدنيا فإذا لم تبق له حسنة عاقبه بكفره والكفار إذا أديلوا يحصل لهم من الطغيان والعدوان وشدة الكفر والتكذيب ما يستحقون به المحق ففي إدالتهم ما يمحقهم الله به» [العقيدة الأصفهانية ١ /١٣١]

أما موقف المسلم من الهزيمة فبينه الله تعالى في سياق الآيات التي نزلت في غزوة أحد.

فأولا: اتهام النفس والنظر في عيوبها، وأن ما أصابها فبسبب ذنوبها، فيتوب منها ويستغفر ويراجع نفسه ويصحح أخطاءه.

وهذا موقف عام في جميع ما يصاب به العبد في نفسه أو ماله أو دينه أو عرضه قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[الشورى ٣٠]

وفي غزوة أحد قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[آل عمران١٦٥]

ثانيا: يقف المسلم أمام الهزيمة بإيمان تام ويقين كامل.. لا تزعزعه هذه الهزيمة ولا ترده على عقبيه، فلا يضعف ولا يستكين ولا يذل لعدوه، ولا يتخلى عن جهاده كما قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ ﴾[آل عمران]

ثالثا: الاستعلاء بالإيمان، ومعناه أن المؤمن يتسلى بإيمانه ويرتفع به فيتجاوز المصيبة فلا تفت في عضده... عندما يتذكر أنه المؤمن وعدوه الكافر، وأنه على حق وعدوه على باطل، وأن مصيره إلى الجنة وعدوه إلى النار.. عندما يستشعر ذلك فإنه يشمخ بإيمانه وتهون عليه مصيبته

ويندفع عنه الحزن، فلو خسر كل شيء وبقي له الإيمان فهو الفائز والعاقبة له إن عاجلا أو آجلا.

قال تعالى مسلياً المؤمنين بعد غزوة أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران١٣٩].

وهكذا استعلى النبي ﷺ بإيمانه يوم أحد عندما قال أبو سفيان: اعل هبل. قال رسول الله ﷺ: « ألا تجيبوه؟» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل». ثم قال: لنا العزى ولا عزى لكم قال: «ألا تجيبوه؟» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم». ثم قال: يوم بيوم بدر والحرب سجال. فقال عمر: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

وفي مسند الإمام أحمد: «لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ: «استووا حتى أثني على ربي». فصاروا خلفه صفوفا فقال: «اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لما أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا اللهم حبب إلينا

الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق.» [المسند ٣- ٤٢٤] وصححه الألباني.

فانظر كيف استعلى النبي ﷺ بإيمانه، بل وأثنى على ربه لما له من حكمة بالغة في كل ما يقضيه ويقدره فهو الأهل للثناء والمحمود على كل حال تعالى وتقدس.

فتدبر هذا الحديث كلمة كلمة لتعرف حقيقة الاستعلاء ومعنى الشموخ بالإيمان والتسلي به، ليهون عليك بعد ذلك ما قد يصيبك من تسلط الأعداء وعلوهم في الأرض، ولا يغرنك تقلبهم في البلاد، وتذكر أن العاقبة للمتقين، وأن الدائرة على الكافرين، واسأل الله تعالى أن يجعلك من أنصار دينه وأهل ولايته.

١٢- البيعة في الجهاد

البيعة في اللغة: المعاقدة والمعاهدة

قال ابن الأثير رحمه الله: «هو عبارة عن المُعَاقَدة عليه والمُعَاهدة كأنّ كلَّ واحد منهما باع ما عِنده من صاحبه وأعطاه خالِصَةَ نفسِه وطاعتَه ودَخِيلةَ أمره». النهاية في غريب الأثر [١ - ٤٥٢]

وهي غير خاصة في البيعة على الإمامة كما هو ظاهر الأحاديث فتجوز لأمراء الجهاد قال الإمام البخاري رحمه الله: باب البيعة في الحرب أن لا يفروا وقال بعضهم على الموت لقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح ١٨].

بل تجوز على مختلف الطاعات كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو على حفظ القرآن أو غير ذلك.

فيتبايع المجاهدون على الصبر وعدم الفرار والثبات فلأمير الجهاد أن يأخذ ذلك من مقاتليه ولا يتجاوز بها ساحة المعركة ولا يستصحب بها أحكام الإمامة العظمى.

فبيعة الإمام تختلف عن بيعة الأمير في الجهاد من نواحٍ عديدة من حيث الشروط والأحكام.

١٣- إقامة الدولة

تقدم معنا في الحقيقة الأولى أن إعلاء كلمة الله هو الغاية العظمى للجهاد، وذكرنا أن معنى ذلك أن تكون الشريعة هي الحاكمة والمهيمنة وذلك معناه إقامة الدولة الإسلامية، فأيما مجاهد لا يسعى لذلك اختياراً فجهاده باطل وعمله حابط.

ولكن لا يعني ذلك أن تقام دول لا وجود لها إلا في أذهان أصحابها ولا حقيقة لها ولا كيان في الواقع ثم يمتحن بها الناس وتنزل عليها أحكام الشرع ويعطى أصحابها أحكام الإمامة العظمى فتكون سببا في انشغال المجاهدين بأنفسهم عن عدوهم والافتيات على الفصائل الأخرى – وأعني بها الفصائل الإسلامية – ومصادرة جهادهم.

يقول الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج ٤١].

فإقامة الدولة شرطٌ لها التّمكين في الأرض وهو المقدرة على التصرف فيها، والإمامُ هو ذلك الممَكّنُ الذي يختاره المسلمون (أهل الحل والعقد أو أكثرهم)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن النبي ﷺ أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين الذين لهم سلطان يقدرون به على

سياسة الناس لا بطاعة معدومٍ ولا مجهولٍ ولا من ليس له سلطان ولا قدرة على شيءٍ أصلاً ». منهاج السنة [١ - ١١٥] .

أما دولةٌ لا تمكين لها فهي أحلام يقظة، وإمامٌ لا يختاره المسلمون فهو مستبدٌ لا تجوزُ له إلا ولاية القهر، وامتحان الناس في هذا كله خطأٌ أربأُ بإخواني المجاهدين أن يقعوا في هذا المنزلق وهم الذين لم يخرجوا -كما نحسبهم- إلا نصرةً لهذا الدين وإعلاء لكلمة الله تعالى، وعليهم أن يراجعوا الثقات من أهل العلم، ويسألوهم في ذلك وفي صحته، وإني والله لا أحب لهم إلا كل خير، وما قلت هذا إلا نصحاً لهم وشفقة عليهم، أسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتّباعه والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

النبي المجاهد ﷺ

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري» [رواه أحمد وصححه الألباني].

فالجهاد مقترن بدعوته ﷺ، وقد نصره الله بالرعب مسيرة شهر، وهو الضحوك القتال وإمام المجاهدين وأشجع الناس، وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا احمر البأس يتقون به، والشجاع منهم من يحاذيه.

ووصف بالكتب السابقة بجهاده وجهاد أمته قال ابن القيم رحمه الله: «وفي صفته في الكتب الأولى «عزه على عاتقه» إشارة إلى تقلده السيف وفيها أيضا صفته وصفة أمته تتقلد السيوف كما في الزبور في بعض المزامير: «من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد فتقلد أيها الخيار السيف مسنونة والأمم يجرون تحتك».

وليس من الأنبياء من تقلد السيف بعد داود وخرت الأمم تحته وقرنت شرائعه بالهيبة سوى نبينا كما قال: «نصرت بالرعب مسيرة شهر».

وفي صفة أمته في الزبور: «وليفرح من اصطفى الله أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون

الله بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه «وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمته.»

[الفروسية ١٥٩/١٦٠]

فجهاد النبي ﷺ ومغازيه هي الجزء الأكبر والأهم من سيرته العطرة ﷺ، ففي العهد المدني وهو عشر سنين غزا النبي ﷺ سبعا وعشرين غزوة، وبعث ستا وخمسين سرية، وهذا يعني أنه كان يغزو على الأقل في السنة مرتين ويرسل على الأقل خمس سرايا.

وفي مغازيه ﷺ الكثير من الأحكام والعبر والدروس، قال الزهري رحمه الله: «في علم المغازي خير الدنيا والآخرة»، وقال علي بن الحسين رحمه الله: «كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن».

وهو القائل ﷺ: «ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل».

[رواه البخاري من حديث أبي هريرة]

وقد أمرنا الله تعالى بالاقتداء به في جهاده وفي جميع شؤونه ﷺ فقال: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب ٢١]

قال العلامة ابن كثير رحمه الله: «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى

الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ.» [تفسير ابن كثير ٣ – ٦٢٦]

وبشر المؤمنين

قال تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف١٣]

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يبشر المؤمنين المجاهدين بالنصر على أعدائهم والفتح العاجل لهم.

فأبشروا أيها المجاهدون بالنصر القريب فإن الله لا يخلف الميعاد.

وأبشروا فكلما اشتدت الأزمة وعظمت المصيبة فقد قرب النصر والفرج.

لا تيأسن من انفراج شديدة *** قد تنجلي الغمرات وهي شدائد

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف١١٠]

قال ابن كثير رحمه الله: «يذكر تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله في أحوج الأوقات إليه».

وأبشروا فإن الله لن يضيع جهادكم قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد ٤] (قرأ الجمهور قاتلوا) قال الإمام الطبري

رحمه الله: «والذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار في دين الله وفي نصرة ما بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من الهدى فجاهدوهم في ذلك ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ فلن يجعل الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا ضلالا عليهم كما أضل أعمال الكافرين».

وقال ابن القيم رحمه الله: «فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائه ويظهرهم عليهم وأنه لا ينصر دينه وكتابه وأنه يديل الشرك على التوحيد والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا فقد ظن بالله ظن السوء ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك وتأبى أن يذل حزبه وجنده وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله» [زاد المعاد ٣ / ١٩٦]

أيها الأبطال المجاهدون: إن سنة الله تعالى لا تبديل لها ولا تحويل وهو ناصر دينه ومنجز وعده، فعليكم بتقوى الله تعالى فهي خير زاد وعدة لكم على أعدائكم ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واعلموا أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا.

وأنتم أيها المسلمون عليكم بنصرة إخوانكم بالنفس والمال ما

استطعتم إلى ذلك سبيلا، وعليكم بالدعاء لإخوانكم الذين يذبون عن أعراضكم ودمائكم وهذا لا يعذر فيه أحد.

لاخيل عندك تهديها ولامال *** فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

واعلموا أن الله غني عنكم وأن ما تقدمونه لأنفسكم من خير تجدونه عند الله وأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

فاللهم يا مجري السحاب ويا منزل الكتاب ويا هازم الأحزاب عليك بأعدائك الذين يصدون عن سبيلك..

اللهم لا ترفع لهم راية ولا تحقق لهم غاية واجعلهم لمن خلفهم آية..

اللهم اجعل كيدهم في نحورهم واجعل تدبيرهم في تدميرهم..

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك..

اللهم سدد رميهم وثبت أقدامهم واربط على قلوبهم وتقبل شهداءهم واشف جرحاهم وفك أسراهم..

اللهم وحد صفوفهم وألف بين قلوبهم واجمع كلمتهم..

اللهم انصرهم نصرا عزيزا..

اللهم تول أمرهم واجبر كسرهم وارحم ضعفهم..

اللهم كن لهم ناصرا ومعينا ووليا وظهيرا.. اللهم آمين.

محمد بن عبد الله الحصم

٣ / ١٢ / ١٤٣٤هـ

معالم في الجهاد

تقديم وتعليق فضيلة الشيخ العلامة
سليمان بن ناصر العلوان بخطه حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قرأت كتاب
معالم في الجهاد للشيخ
محمد الحصم حفظه الله
فرأيت فيه نوراً وعلماً
نافعاً ونصحاً صادقاً
والكتاب جيد ومفيد
وأنصح بطباعته
وأحث المسلمين قراءته

كتبه
سليمان بن ناصر العلوان
٢/٢/١٤٣٤هـ